هارباً إلى العراق، وقَدِمَ جماعةٌ منهم دمشق هاربين، فأخبروا بما جرى عليهم، وممن كان معهم وفُقِدَ الكمالُ بنُ السِّنْجاري، وابن العُمَري، وعبد العزيز بن عبد الملك بن عساكر، وغيرهم.

ثم دخلت سنة ستين وست مئة

٢١٦

ففي يوم الأربعاء ثاني عشر محرَّم ذَكَرْتُ الدَّرْس بالمدرسة الرُّكْنية الملاصقة للمدرسة الفلكية، وابتدأتُ بها درساً من «مختصر» المُزَني ـ رحمه الله ـ بحضرة قاضي القضاة وغيره.

وفيها في أوائل صَفَر توفي البُرْهان إبراهيم الصَّرْخدي، وهو القائل: والدَّليل أنا، رحمه الله.

وفيها في ثاني عشر صَفَر قُتِلَ الزّين مُظَفَّر بن إسماعيل التَّاجر، المعروف بالزَّين الصَّائغ، صاحب الأملاك بقريتي داعية وحمُّورية وغيرهما، قُتِلَ بعد صلاة الجمعة، وهو داخل من جبل قاسيون قبل أن يصل إلى مقبرة ابن صاحب قرقيسيا على حافةِ السَّاقية المقابلة للمزرعة المعروفة بالسُّميرية، قتله شخصٌ من أهل قرية تل منين، تبعه من الجبل، وقد عاينه باع شيئاً واستوفى ثمنه، ولم يمكنه الفُرْصة إلا هناك، ثم مُسِكَ القاتل، فأقَرَّ، فَشُنِقَ بعد يومين بين الميدانين يوم الاثنين، ودفن الزَّين من الغد بجبل قاسيون يوم السبت ثالث عَشَر صفر، رحمه الله.

وفيها يوم الأحد الثَّاني والعشرين من صفر وصل الخليفة الحاكم الذي كان بايعه برلو بحلب، وأُنزل في قلعة دمشق مُكَرَّماً، وذلك بعد الوقعة التي قُتِلَ فيها الخليفة المستنصر[1]، وكان معه، فهرب وسَلِمَ، ثم سافر إلى مِصْر يوم الخميس السَّادس والعشرين من صفر.

---

(١) هو أحمد بن الظاهر بن النَّاصر، له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ١/ ٤٤١ ـ ٤٥٢، ٥٠٠ ـ ٥٠١، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٦٨ ـ ١٧١، العبر للذهبي: ٥/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩، البداية والنهاية (حوادث سنة ٦٥٩ هـ)، النجوم الزاهرة: ٧/ ١٠٩ ـ ١١٧، ٢٠٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٧٧ ـ ٤٧٨ .

وفي ذلك اليوم توفي عثمان الكَيَّال الأحول؛ السَّاكن بحضرة حمام الجُبْن، ودفن بباب الصَّغير، رحمه الله.

وفيها في أواخر ربيع الآخر توفي العِزّ الضَّرير الإرْبلي[١] الذي كان يُقرئُ علوم الأوائل في بيته لمن يتردّد إليه من أهل المِلل: مُسْلمها، وكافِرها، ومبتدعها من الرافضة، واليهود والنَّصارى، والسَّامرة، وكان قليلَ الدِّين، لكنه كان ذكياً فصيحاً، حَسَنَ المحاضرة، والله تعالى يختم لنا بالخير، آمين.

وفي أول جُمادى الأولى توفي بمكَّة التَّاج أبو الحسن بن زين الأمناء[٢]، وصلِّي عليه بجامع دمشق يوم الجمعة رابع عشر ربيع الأول الخطيبُ عمادُ الدِّين بن الحَرَسْتاني عندما صَحَّ خبرُ موته، رحمه الله.

وفيها جاءنا الخبر من مِصْر بوفاة الشَّيخ عِزِّ الدِّين أبي محمد عبد العزيز بن عبد السَّلام[٣] ـ رحمه الله ـ وعُمِلَ عزاؤه بجامع العقيبة يوم الاثنين الخامس

(١) هو حسن بن محمد بن أحمد بن نجا، له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ١/ ٥٠١ ـ ٥٠٤، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤، العبر للذهبي: ٥/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠، عيون التواريخ: ٢٠/ ٢٦٨ ـ ٢٧٢، فوات الوفيات: ١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٥، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٤٧ ـ ٢٥١، نكت الهميان: ١٤٢ ـ ١٤٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٦٠ هـ)، النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، بغية الوعاة: ١/ ٥١٨ ـ ٥١٩، شذرات الذهب: ٥/ ٣٠١.

(٢) هو عبد الوهَّاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر، له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ١٧٦ ـ ١٧٧، العبر للذهبي: ٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦١، عيون التواريخ: ٢٠/ ٢٧٤، شذرات الذهب: ٥/ ٣٠٢.
وقد سلفت ترجمة والده زين الأمناء ص ١٨ من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ١/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦، ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٦، العبر للذهبي: ٥/ ٢٦٠، عيون التواريخ: ٢٠/ ٢٧٤، فوات الوفيات: ٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢، الوافي بالوفيات: ١٨/ ٥٢٠ ـ ٥٢٢، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٢٠٩ ـ ٢٥٥، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٦٠ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ ق٢/ ٤٧٦، النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٠٨، الدليل الشافي: ١/ ٤١٦، حسن المحاضرة: ١/ ٣١٤ ـ ٣١٦، طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٠٨ ـ ٣٢٣، شذرات الذهب: ٥/ ٣٠١ ـ ٣٠٢.

والعشرين من جُمادى الأولى سنة ستين وست مئة، ثم جاء من حَضَرَ جِنازته وأخبر أَنَّ وفاته كانت يوم الأحد عاشر جُمادى الأولى ـ أو حادي عشره ـ وكان يوماً عظيماً، حَضَرَ جِنازته الخاصُّ والعام، ونزل السُّلْطان الظَّاهر بيبرس، وصَلَّى عليه مع النَّاس بالقَرَافة، ودفن في آخر القرافة مما يلي الجبل من ناحية البركة، وصُلِّي عليه في جامع دمشق وغيره من الجوامع بالشَّام يوم الجمعة سَلْخ جمادى الأولى رحمه الله، ونادى النصير المؤذِّن بعد الفراغ من صلاة الجمعة: الصلاة على الفقيه الإمام شيخ الإسلام عز الدِّين بن عبد السلام.

وفيها في حادي عشر جُمادى الأُولى توفي الجمال عبد الوهَّاب بن[1] المصري الأعور، وكان قديماً بالمدرسة الجاروخية في حياة شيخنا فخر الدِّين بن عساكر، ثم صَحِبَ بني سني الدَّولة، وانتفع بهم، وكُفَّ بصره في آخر عمره، ودفن[2].

وفيها[3] في رجب من هذه السنة جرى على الشَّمْس محمد بن مؤمن الحَنْبلي أمرٌ بتعصُّبِ أهلِ الجبل عليه؛ بأن حُمِلَ والي دمشق على صَفْعه ٢١٧
وتجريصه على حمارٍ بدمشق وبالجبل.

وجاءنا الخبر من مِصْر بوفاة الصَّاحب كمال الدِّين عمر بن أبي جرادة، الحنفي المعروف بابن العديم[4] في العشرين من جمادى الأولى، وصُلِّي عليه

(١) بيض أبو شامة لاسم أبيه، ولم يسمِّه.

(٢) بيض أبو شامة لمكان دفنه، ولم يسمِّه.

(٣) الخبر ليس في (ب).

(٤) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٦/ ٥ ـ ٥٧، ذيل مرآة الزمان: ١/ ٥١٠، العبر للذهبي: ٥/ ٢٦١، عيون التواريخ: ٢٠/ ٢٧٥ ـ ٢٧٩، فوات الوفيات: ٣/ ١٢٦ ـ ١٢٩، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٤٢١ ـ ٤٢٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٦٠ هـ)، الجواهر المضية: ٢/ ٦٣٤ ـ ٦٣٦، السلوك للمقريزي: ج١/ ق٢/ ٤٧٦، النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٠٨ ـ ٢١٠، تاج التراجم: ١٦٦، حسن المحاضرة: ١/ ٤٦٦، شذرات الذهب: ٥/ ٣٠٣، الفوائد البهية: ١٤٧ ـ ١٤٨.

بجامع دمشق صلاةَ الغائب ـ رحمه الله ـ وكان فاضلاً، متواضعاً، حَسَنَ المحاضرة، كثير الإفادة. وسوَّد تاريخاً لحلب، وبيَّض بعضه[1].

وفي تاسع عشر جُمادى الأُولى توفي الجمال عبد الله بن عبد الملك الحنبلي، المعروف بعفلق.

وفي السَّادس والعشرين من جُمادى الأُولى توفي التَّاج عبد الرحمن بن عبد الباقي بن الخضر الحنفي، المعروف بابن النَّجَّار، وكان أحدَ شهودِ باب الجامع، ومدرِّساً في بعض مناصب الحنفية ـ رحمه الله ـ وهو الذي كان عَقَدَ نكاحاً على مذهبه بإذن الصَّدْر بن سني الدولة الحاكم الشافعي، ثم أَذِنَ الصَّدْر لنائبه الكمال التَّفْليسي في نَقْضه، فَنَقَضَه، وجرى في ذلك إنكارٌ عظيم على النَّاقض والآذن، وصنفتُ في ذلك تصنيفاً، فانتصر التفليسي لما حَكَمَ به بجمعِ جُزْءٍ، فنقضته عليه بتصنيفٍ آخر. صليتُ عليه إماماً ظاهر باب الفراديس، واتفق حينئذٍ عبورُ نائبِ السَّلْطنة بدمشق وأعمالها الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري، فترجَّل، وصلَّى معنا عليه، ثم مُضِي به إلى جبل قاسيون.

وفيها في ثاني عشر جُمادى الآخرة توفي البدر المَرَاغي الخلافي المعروف بالطَّويل، وكان قليلَ الدِّين، تاركاً للصَّلاة، مغتبطاً بما كان فيه من معرفة الجدال والخلاف على اصطلاح المتأخِّرين، رحمنا الله وجميعَ المُسْلمين.

---

(١) هو «بغية الطلب في تاريخ حلب»، وقد بلغ نحو أربعين مجلداً، لم يصل إلينا منها سوى عشرة، هي في مكتبات استنبول، ثمانية منها في مكتبة أحمد الثالث برقم (٢٩٢٥)، وواحد في مكتبة أيا صوفيا برقم (٣٠٣٦)، ومجلد في مكتبة فيض الله برقم (١٤٠٤)، ومنه أجزاء مفردة في باريس أول برقم (٢١٣٨)، والمتحف البريطاني أول برقم (١٢٩٠).

وقد اطلعتُ على هذه المجلدات العشرة بخط ابن العديم، وهي في غاية النفاسة وضوحاً وجمالاً، وقد أساء إليها ناشرها في دمشق بما ملأها به من تصحيفاته وتحريفاته، وكانت بنجوة منها، والله المستعان.

ومنه انتزع ابن العديم كتابه «زبدة الحلب في تاريخ حلب»، ورتبه على السنين، نشره المعهد الفرنسي بدمشق في ثلاثة أجزاء بتحقيق د. سامي الدهان.

وفيها في السَّادس والعشرين من جمادى الآخرة توفي صاحِبُنا ناصر الدِّين محمد بن داود بن ياقوت الصَّارمي[١]، ودفن بمقبرة الباب الصَّغير، حَضَرْتُ دفنه والصَّلاة عليه، وكان رجلاً صالحاً، عالماً، مفيداً لطلبة الحديث، باذلاً كتبه وخَطَّه في ذلك، اشتغل بسماع الحديث كثيراً، وكتب مجلَّدات وأجزاء كثيرة، وطباق السماعات المكتوبة بخطِّه من أحسن الطِّباق وأنورها وأصحِّها، رحمه الله.

وفي ذلك اليوم توفي جمال الدِّين محمد بن عبد الحق بن خلف الحنبلي[٢] بجبل قاسيون، ولم أحضر جِنازته لاشتغالي بجنازة ناصر الدين المذكور ـ رحمهما الله ـ وكان حَسَنَ الأخلاق، ظريفاً، يتولى الحِسْبة والتوريق بالجبل، وورَّخ الوقائع في أيامه.

وفي ليلة الأحد سَلْخ جمادى الآخرة ولد ابنُ ابنتي حسن بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البكري، جعله الله مباركاً.

وجاءنا الخبر من مِصْر في رجب بأنه شُنِقَ قاضي المَقْس بها. كان ذلك في عَشِيَّة الثلاثاء ثامن عشر جُمادى الآخرة من السنة، وهو الكمال خضر بن أبي بكر بن أحمد الكردي[٣]، أحد أقارب قاضي سِنْجار، وذلك بأنَّه تعرَّض لإقامة دولة باجتماعه مع جماعةٍ من الأكراد والشهرزورية، فَقُبِضَ عليه، وعُلِّق وفي رقبته تواقيعُ كان كتبها، وبنود من شعار الدَّولة التي كان قد رام إقامتها، وكان قبل ذلك قد صَنَعَ خاتماً، وجعل تحت فَصِّه ورقةً ـ وذكر أنه وجده ـ

(١) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ٣/ ٦٣.

(٢) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ٣/ ٢١٨.

(٣) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ١٧٠ ـ ١٧٢، عيون التواريخ: ٢٠/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣، الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٢، المنهل الصافي: ٢١٦ ـ ٢١٧.

وفيها[١] أسماء جماعة من أُولي الثروة بمالٍ عندهم مودعَ، ورام استئصال أموالهم، والتقرُّب بها إلى ولاة الأمر، فاطُّلِعَ على مِحَاله، فأُهين وصُفِع، فقيل فيه:

ما وُفِّقَ الكمالُ في أفعالِهِ ... كلا ولا سُدِّدَ[٢] في أقوالِهِ

يقول مَنْ أبْصَرَهُ يُصَكُّ تاْ ... ديباً على ما كانَ من مِحَالِه

قد كان مكتوباً على جبينِهِ ... فقلتُ لا بَلْ كانَ في قَذَالِهِ

٢١٨ وسألتُ الحاكم شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر[٣] عن هذه القضية، فأخبرني أنَّ هذا الكمال خضراً كان قد عَلِقَ به حُبُّ التقدُّم عند الملوك بسبب أنه كان قد تقدَّم عند عز الدين أيبك التركماني ـ وهو الملك المعز ـ ثم أُبعد، واتَّفق أنه لما صَنَعَ الخاتم المذكور وحُبِسَ كان في الحبس شخصٌ آخر يدَّعي أنه من ولد بني العباس، وكانت الشَّهْرُزورية أرادت مبايعته بالخلافة، وهيؤوا الأمر لها بغزة، لما تبدَّد شملهم أُخذ هذا وحُبس، واتفق خضر معه في الحبس على أنه يسعى له في ذلك الأمر، ويكون هو وزيره، فاتفق موتُ العَبَّاسي، فلمَّا خَرَجَ خضر سعى في إتمام الأمر لابنه، فَتَمَّ ما تَمَّ.

قال: وكان من زمن الإمام النَّاصر أحمد قد ورد إلى إرْبل شخصٌ يسمَّى الأمير الغريب، وكان يدَّعي أنه ولد النَّاصر، ثم توفي سنة أربع عشرة وست مئة، فادَّعى هذا الشخص أنه ابنه عند الشَّهْرُزورية، فقدَّموه، فحبس ومات، وخلَّف ولداً صغيراً، فسعى الكمال في المبايعة له، فجرى ما جرى، وقد خاب من افترى.

---

(١) في الأصل: وكان قبل ذلك قد صنع خاتماً وذكر أنه وجده، وجعل تحت فصه ورقة نقش عليه أسماء.. وفي (ك) و(ع) و(س): ورقة أسماء، والمثبت من (ب).

(٢) في (ك) و(ع) و(س): ولا صُدِّقَ.

(٣) هو ابن خَلِّكان.

وفي ثامن رجب توفي الشَّرف عبد الرحمن بن صَدَقة، وكان من أترابي ورفقائي في تلقُّنِ القرآن العظيم عند العفيف الضَّرير محمود؛ شيخ القاضي الخُوَيِّي، وفي المدرسة الأمينية أيام الجمال المِصْري، رحمه الله.

وفي ثالث عشر رجب توفي البرهان الخَلْخالي، وكان فقيهاً مناظراً، مقبول الشَّهادة، رحمه الله.

وفي رابع عشر رجب توفي الشَّمْس الكُرْدي الأعرج؛ الذي كان يصحب الأمير حسام الدِّين بن أبي علي، وكان مدرساً بالكلاسة وغيرها، ودَفَنَه حموه تقي الدِّين بن أبي اليُسْر بالجبل عند قبر أبيه وجدِّه، رحمهم الله.

وفي[1] خامس عشر رجب توفي بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ الشيخ عثمان الخِلاطي، فقير صالح مشهور، معروف بخدمة الفقراء طول عمره، كان يكون عندنا بدمشق مقامه بباب الكلاسة في الجامع، ويتولى غسل ثياب الفقراء، لا يتخلف عن حاجة يستقضى فيها، ويجود لهم بما في يديه، ثم جاور بمكة نحواً من ثلاثين سنة، وهو على هذا القدم لم يتغير عنه مع كثرة الفتوحات عليه، وكلها يخرجها على الفقراء، ودفن بالمعلا، رحمه الله[1].

ووصل الخبر إلى دمشق بالتقاء التَّاتار ـ لعنهم الله ـ المقيمين على بلاد المَوْصِل بعسكر أَقْش البرلو من المُسْلمين، وجَرَتْ بينهم مقتلةٌ عظيمة، قُتِلَ فيها من أعيان فرسان المسلمين؛ سنجر جكم الأشرفي وابنه، وبكتوت الحَرَّاني، وغيرهم.

وفيها يوم الاثنين الثَّاني والعشرين من رجب توفي نقيب الأشراف الطالبيين بدمشق، وهو بهاء الدِّين علي من بني أبي الجن[2]، وتولى النّقابة بعده الفخر بن النظام البعلبكي.

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ك) و(ع) و(س).

(٢) هو علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو الحسن، له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/١٧٧، =

وفيها يوم الخميس خامس وعشرين رجب توفي الشيخ عبد الرحمن بن يحيى؛ خطيب إرْبل الذي كان ساكناً بمنارة جامع دمشق الشَّرقية، رحمه الله.

وجاءنا الخبر من مِصْر بوفاة القاضي المكين بن كامل في نصف رجب.

ومن تَلِّ السُّلْطان بحلب بوفاة عِزِّ الدِّين أَيْبَك المحيوي[1]، عتيق محيي الدِّين بن المدرس؛ وزير الجزيرة، وكان شاباً ذكياً فاضلاً، حَسَنَ الخَطِّ واللفظ، وكان يقرأ عليَّ في صِغَره بمصر شيئاً من العربية، رحمه الله.

وفي هذه السنة نُظِرَ في أمر أئمة المساجد بدمشق، فمُنِعُوا من الاستنابة، ورجع على بعضهم بما كان تناوله إذ لم يقم بالوظيفة، منهم التَّاج الشُّحْرور، والجمال الموقاني، وابن بنت غانم، وابن عبد السَّلام وغيرهم، ونَقَصَ كثيرٌ من جامكياتهم المقرَّرة، وكان المتولي لذلك والي الشرط بدمشق، وهو الافتخار أياز الحَرَّاني، وكان شيخاً كبيراً، ولي دمشق في أول هذه السنة، ومكِّن من النظر في المساجد، فجرى ما جرى، وأمر أهل الأسواق بالصَّلاة، وعاقب من تخلف عنها، وكان يخدمه شخصٌ من أبناء الحنابلة يعرف بالفَخْر بن الصَّيْرفي، وله مسجد بقُبَّة اللحم، له فيه كل شهر ستون دِرْهماً، وتركه بحاله لم ينقصه من جامكيته مع كونه نقص غيره، فقال فيه بعضُ أئمة المساجد:

يا والياً متزهِّداً متحنْبِلاً بتَصَلُّفِ ٢١٩
لِمَ لا تساوي بالمسا جدِ مسجدَ ابنِ الصَّيْرَفي

فأجابه آخر على لسان حال الوالي لما كان مهتماً بمراعاة الحنابلة، فقال:

قال الأمير الحنبليُّ جواب مَنْ لم يُنْصِفِ

= العبر للذهبي: ٥/ ٢٦١، الوافي بالوفيات: ٢١/ ٤٢٢، النجوم الزاهرة: ٧/ ٢١٠، شذرات الذهب: ٥/ ٣٠٣.

(١) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ٩/ ٤٨١، ولمعتقه محيي الدين ترجمة في الوافي بالوفيات كذلك: ١/ ١٧٣.

أنا مبغضٌ للشَّافعي والمالكي والحنفي
فلذاك أقْصِدهُمْ وأر عى جانبَ ابنِ الصَّيْرَفي

وفي شعبان توفي الحاج أبو بكر بن بطيخ التَّاجر برحبة البصل بدمشق.

وفي هذه السنة سار عسكر الشَّام مع من قَدِمَ عليهم من عسكر مِصْر، ونزلوا على مدينة أنطاكية، فشعَّثوا منها، ثم جاءهم أمرٌ من مِصْر بالرَّحيل عنها، فرحلوا، ووصلوا دمشق في سَلْخ شعبان.

وفي التاسع والعشرين من شعبان توفي النجم إبراهيم بن الضِّياء يوسف بن خطيب بيت الأبار، وكان من الشُّهود المتصرِّفين بديوان السُّبُع، رحمه الله.

وفي أول هذه السنة نزل التَّاتار ـ لعنهم الله ـ الذين كانوا هَرَبوا من الشَّام مع من انضوى إليهم من المفسدين على مدينة المَوْصِل، فحصروها إلى شعبان، ثم جاءنا الخبر بأنهم دخلوا، وفتكوا فيها على عادتهم، وملكوها، وقتلوا وأسروا صاحبها ابن لؤلؤ.

وجاءنا الخبر بأن الخُلْف وَقَعَ بين التَّاتار الذين ببلاد العجم وموت ملكهم الأكبر، وتفرُّق كلمتهم، وانتصار بركة على هولاوو، لعنه الله.

وفي النصف من شهر رمضان وقع بدمشق إرجاف عظيمٌ من جهة التَّاتار، وتجهَّز النَّاس منها للهرب إلى الدِّيار المِصْرية، وباع الأمراء حواصِلَهم حتى حواصل القلعة، وتهيؤوا للهرب، وألزم ولاةُ الأمر كبراءَ دمشق بالرَّحيل بأهاليهم إلى مِصْر، ورسموا عليهم بذلك، وضيَّقوا عليهم بسببه، وألزموا أرباب الدَّواوين والمتصرفين لهم بإرسال نسائهم إلى مِصْر، وبقائهم في خدمتهم في دمشق سواء في ذلك القادر والعاجز، وألزموا جمعاً كبيراً بذلك من أهل الأسواق الذين بالقيسارية الفخرية والخواصِّين وغيرهما، وجماعة من صناع القوَّاسين وغيرهم. وطلبوا أصحاب الفَرَّايين، وكل مَنْ كان بينه وبين التاتار تعلُّق، فأخرجوهم إلى مِصْر كرهاً، منهم القاضي التفليسي، وابن عنتر، وقيَّدوا جماعةً منهم، مثل ابن اللَّبُّودي، وابن المسلم، وابن الأرزني.

وجَفَلَ النَّاس من حِمْص وحماة وغيرهما إلى دمشق.

ورحل من دمشق في نصف شوال فما بعده قَفَل كبير إلى مِصْر بعد قَفَل، وأُخِذَ بعضُهم في الطريق، وجُرح بعضٌ، وكان الماء عليهم في الطَّريق قليلاً، والحرُّ شديداً.

وبلغنا أنَّ مثل هذا الإرجاف وَقَعَ أيضاً في بلاد العدو من التَّاتار، وفي بلاد الفرنج أيضاً، وفي الدِّيار المِصْرية.

وفيها[1] توفي جمال الدِّين الواسطي المقرئ؛ السَّاكن بالعزيزية، وكان يُصَلِّي بها التَّراويح، رحمه الله[1].

وفي أوائل شوَّال قُتِلَ الشَّيخ سكندر الواسطي بقرية زَمْلكا من حرامية نزلوا عليه، رحمه الله. وفي[2] شوَّال أيضاً توفي حُميد الأخرس بن أبي الفتح. وتوفي فيه خميس الحفَّار الذي كان بمقبرة باب الفراديس[2].

وفي سَلْخ شوَّال توفي عِزُّ الدين عبد العزيز بن الشَّيخ شمس الدِّين يوسف سِبْط ابن الجوزي[3] الواعظ الحنفي، وكان قد درَّس مكان أبيه بعده بالمدرسة العِزِّية التي فوق الميدان الكبير ـ رحمه الله ـ ودفن في مقبرة أبويه بجبل قاسيون.

وفي[4] أوائل ذي القعدة توفي العفيف بن الوزَّان[4].

٢٢٠ **وفيها في ثالث ذي القَعْدة** وَصَلَ من مِصْر إلى دمشق عسكرٌ مقدَّمه الأمير عِزّ الدِّين الدِّمْياطي، وبكَّر للدخول إلى دمشق، فخرج الناس يتلقونه، وفيهم الحاجّ علاء الدين طيبرس الوزيري نائب السَّلْطنة بدمشق، فلمَّا وصل إليه،

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب).

(٣) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ١٨/٥٦٧، الجواهر المضية: ٢/٤٤١، النجوم الزاهرة: ٧/٢٠٨، الدليل الشافي: ١/٤١٩، الدارس: ١/٥٥٢، الطبقات السنية: ٤/٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٤ ـ ٤) ما بينهما ليس في (ب).

وأهوى ليكارشه على ما جَرَتْ به عادة الملتقيَيْن قبض الدِّمياطي بيده الواحدة عَضُدَ طيبرس، وبيده الأخرى سيفه، وأنزله عن فرسه، وأركبه بغلاً، وشدَّه عليه، ثم قيَّده، وتركه بمصلّى العيد، فلما دَخَلَ الليل وكَّل به، وسيَّره إلى مصر، وكان القبضُ عليه عند ذيل عقبة شحورا، وهَرَبَ من خرج معه من أصحابه، ثم استُخرجت أمواله التي تبقَّتْ بعدما سيَّر منها ما كان سَيَّر مع العرب، وقُبِضَتْ حواصِلُه.

وكان طيبرس المذكور قد أهلك أهل دمشق بإخراجهم من بلدهم، والترسيم على أكابرهم بإخراج عيالهم وبأنفسهم وإهانتهم، وضيَّق على النَّاس بتمكين العرب من شراء الغِلال من دمشق، وتخويف النَّاس من التَّاتار، فكان البدوي يَجْلِبُ الجَمَلَ ويبيعُه بأضعاف قيمته، ويشتري به الغَلَّة رخيصةً؛ لأن النَّاس بين خائفٍ يبيعُ حاصِلَه ليتجهَّز به، ومحتاجٍ إلى الجمال لسفره، وبين مَنْ هو مُوكَّل عليه ليسافر بلابُدَّ، فهو مضطرٌّ إلى كلِّ ذلك، وبلغ كِراءُ جمل المحارة[1] من دمشق إلى مِصْر نحو مئتي دِرْهم، والحمد لله على كَشْفِ تلك الشِّدَّة.

وفي خامس ذي القَعْدة ماتَ الأمير المعروف بالأصبهاني مخموراً.

وفيها في يوم السبت السَّابع والعشرين من ذي القَعْدة وَصَلَ إلى دمشق من عسكر التَّاتار ـ لعنهم الله ـ نحو مئتين ما بين فارسٍ وراجل بنسائهم وصغارهم هاربين إلى المسلمين. وذُكر أن سببه أن عسكر هولاوو كسره عسكر ابنِ عمه بركة، فهربَ جماعةُ هولاوو، وتشتتوا في البلاد، فقصد كلُّ طائفةٍ جهةً، وتوجَّهت هذه الطائفة إلى بلاد الشَّام، ففرح المسلمون بهذا الخبر، وزال عنهم ما كانوا فيه من الغَمِّ بسبب الأخبار السابقة التي أوجبت أن جفلوا إلى مِصْر.

وأخبر بعضُ هؤلاء المنهزمين أنَّ ملك التَّاتار الأعظم منكوخان توفي، وقام

(١) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٣٦٤ من الجزء الأول.

بالملك بعده أخوه الأصغر غزي بكو[١]، وكان الأخ الأكبر قبليه[٢] غائباً بالهند، فأنِفَ وقصد أخاه بعسكره فتقاتلا، ونصر بركة لغزي بكو، فكسروا عسكر قبليه، فلما سمع هولاوو عَزَّ عليه، وكره تملُّك غزي بكو، وجمع العساكر، وقَصَدَ بركة، وسار بركة إليه، فنزل في أرض الكُرْج، ونزل هولاوو بصحراء سَلْماس وخُوَيّ.

وأخبرني مَنْ أثقُ به عمن يثق به أنه اجتمع ببعض غِلْمان مَنْ كان في أسر التَّاتار من الأمراء أنه أخبره بحضرة الأشرف صاحب حِمْص أنَّه حَضَرَ كسرة بركة لهولاوو، وقال: كان جيش بركة قد كسر عسكر هولاوو الذي سَيَّره مع ابنه، وقُتِلَ ابنه، فجمع هولاوو بقية من قدر عليه من عساكره، وسار إلى بركة، فلقيه بناحية شَرْوَان، فقُتِلَ من الفريقين خَلْقٌ عظيم، ووقعتِ الكسرة على عسكر هولاوو، فبقي السيف يعمل فيهم أياماً، وهَرَبَ هولاوو إلى قلعة تلا، وهي في وسط بحيرة بأذربيجان، فدخلها، وقطع الطريق إليها، فبقي كالمحبوس فيها.

وفيها في ثامن ذي الحِجَّة توفي الأمير سيف الدين بلبان، المعروف بالزردكاش، الذي كان استنابه طيبرس موضعه بدار العَدْل وعلى دمشق لما سافر إلى حصار أنطاكية، وكان دَيِّناً خيِّراً، يحبُّ العَدْل والصَّلاح، رحمه الله.

٢٢١ وفيها جاء يوم الثلاثاء ثامن ذي الحِجَّة جماعةٌ من المسلمين أعرف بعضَهم، ومعهم شيخٌ زعموا أنه نَصْراني معروف ببيع اللَّحْم بدمشق، وأنه رأى رؤيا، وقد جاء مسلماً، فأخبرني أنه رأى النَّبيَّ ﷺ ليلة الجمعة، جاءه ـ وكان مضطجعاً من أثر مَرَضٍ ـ فقال له: قُمْ واخرجْ من الضَّلالة إلى الهدى، ومُرَّ إلى أبي شامة، وأسلمْ على يده، وأخبره أنَّ الملك الأشرف ـ يعني صاحب حِمْص ـ

(١) كذا سماه أبو شامة، وسماه رشيد الدين الهَمَذاني: أريق بوكا، انظر أخباره في «جامع التواريخ» ص ١٦٢، ٢٤٢ ـ ٢٦٢، نقله إلى العربية الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م.

(٢) هكذا رسمه أبو شامة، ويكتب كذلك: قوبيلاي.

يملك بلاد سيس، ويهلك العدو بها، وأن صاحب مِصْر في السنة الآتية يهدم عكا ويملكها، وتكون أنت تخدم مسجد صالح بها، ثم ارتفعَ ﷺ إلى نحو السماء، وهو في صورةٍ لا أقدر أصفها ولا أشبهها بقمرٍ ولا شمس، هي أكمل من ذلك وأتم. فقلتُ: إلى أين يا رسولَ الله؟ قال: أسأل ربي في النَّاس ونصرهم على الكَفَرة، أو كما قال. قال: فانتبهتُ، وبقيت في حيرةٍ من أمري، فلما كان ليلة السبت رأيتُ مثل ذلك المنام، ثم ليلة الأحد كذلك، ثلاث ليال متوالية، ثم صمَّمْتُ على الدخول في الإسلام، فسألتُ عمن يقال له أبو شامة من المشايخ، فدلُّوني عليك. فأمرته بالإسلام، فأسلم، والحمد لله رَبّ العالمين.

وفيها توفي البَدْر أحمد بن شرف الدِّين عثمان بن السَّايق بأرض نابُلُس، رحمه الله.

وفي أواخر ذي الحِجَّة توفي العِزُّ التَّاجر المعروف بابن مشرّف، ويلقب بالجرذان[1].

ووجد النّظام قيس العربيلي مقتولاً بالصَّالحية، وكان هذا المذكور ذُكر عنه أنه قَتَلَ زوجةً له وغيرها، وهو أبو سعيد قيس بن عمر بن عمرو بن كامل بن هبة بن علي الأنصاري، وعربيل قريةٌ بغوطة دمشق.

وقَدِمَ إلى دمشق والياً عليها من جهة مصر الأمير جمال الدين أقش المعروف بالنَّجيبي، ورحل علاءُ الدِّين الرُّكْني إلى مِصْر، وتولَّى عِزُّ الدِّين ابن وداعة الوِزارة على الدّواوين وما يتعلَّق بها، وتولَّى نظر الدواوين شمسُ الدِّين بن علان، وانعزل عنه شَرَف الدين بن الوزان، وتحرَّك سِعْر الغَلَّة في أواخر هذه السنة، وطابتِ الأخبار من جهة التَّاتار، ولله الحمد والمِنَّة.

---

(١) في (ك) و (ع) و (س): بابن الجرذان.